الفصل الخامس
أسباب العنوسة عند الفتيان

١ـ إطالة أمد الخطبة

٢ ـ التمسك بمبدأ تكوين النفس ومطاطيته

٣ ـ عدم الاستعداد لتحمل مسئوليات الزواج وما ينتج منه

٤ـ تكرار الرفض للفتى مما سبب له إحباطا وعزوفا عن الزواج

٥ـ إعالة الفتى لأسرته

٦ـ العطالة

٧ـ الانشغال بالسفر

obeikandl.com

الفصل الخامس

أسباب العنوسة عند الفتيان

للعنوسة عند الفتيان أسباب عدة نجتزئ منها بالآتي:

١ـ إطالة أمد الخطبة :

قد يخطب شاب فتاة فترة من الزمن ويعمل الشيطان عمله مثبطا الخاطب عن هذه الفتاة ويلقي في روعه أن فلانة ـــ فتاة يزينها له الشيطان ـــ أكثر من التي خطبها جمالا وأدبا وعلما وأهلها لهم وضع اجتماعي متميز أكثر من الفتاة التي خطبها ، أما الفتاة التي خطبها فهي من أسرة فقيرة جاهلة متخلفة ويصفهم بما شاء من صفات كانت في السابق حسنات لها وهي التي رغبته في التقدم لخطبتها واختيارها على غيرها من الفتيات وعلى التي زينها له الشيطان حاليا فهي كانت موجودة ولم تكن مخطوبة فصارت حسنات التي خطبها سيئات بتزيين الشيطان ومن ثم يعمل الشاب تفكيره في الخلاص منها والفكاك من الوقوع في حبالها فيبدأ في المراوغة والزوغان ومحاولة إطالة أمد الخطوبة كما أن الشيطان لا ينسى أن ينال المخطوبة بشظية من شظاياه ويصيبها بوسوسته فيريها أن هذا الخاطب متردد وأنه غير صادق وأنها لو تخلت عنه وطلبت منه فسخ خطوبتها فإنها ستظفر بأفضل منه فزيد وعمرو وأمثالهما من غير المتزوجين أكثر من عدد الرمل وهما أكثر غنى وتعليما وجمالا وقوة وشبابا أما هذا الشاب فهو قبيح المنظر، كريه الشكل ، ضعيف البنية ، أسود اللون قصير القامة ، وهو رغم أنه من أسرة متواضعة جدا فله أخوات متكبرات ، وأم سمعنة نظرنة أعوذ بالله من شرها وأسأل الله أن لا يوقع عزيزا لدي في حبالها فهي ككلب السوء الذي يتلمظ بدم عراقيب الضيفان ، وذلك بتحكمها في كل فرد من أفراد بيتها بدأ من أبيهم الذي يقبع بين يديها قبوع الفأر أمام الهر ضعفا أمامها واستكانة منه لها ، وهي تحاسب كل أحد في البيت على كل شيء وعن كل شيء

فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها وحاسبت عليها وتتحول كل حسنات الشاب السابقة وحسنات أمه وأخواته التي رغبتها في الموافقة على خطبته عند تقدمه لها إلى سيئات ومساوئ ومعائب فتبدأ هذه البنت المسكينة في معاكسة خطيبها والتمرد عليه بغية التخلص منه والإفلات من شباكه وعدم الوقوع في شراكه، وكل هذه الأشياء من أقوال وأفعال تصل إلى الخاطب من عدة مصادر بعضها حادب على الشاب وبعضها حاسد له وللتي خطبها يريد أن لا يتم هذا الزواج.

وتنسى الفتاة في غمرة تفكيرها أو تتناسى طوفان عنوسة البنات والأرتال المنتظرات منهن للزواج كما أنها تنسى أخواتها في البيت اللاتي لم يتزوجن إلى الآن.

وكما يقال: خير البر عاجله، [1] والتسويف والتأخير من الشيطان فلو حزم هذا الشاب أمره وأتم ما بدأه من خير بتتويج خطوبته بالزواج السريع كان ذلك أقرب مدعاة للم الشمل ورأب الصدع وجمع الشتات، ولو أخر خطبته فإن الشياطين تحاول تأخيرها وإرجاءها والتثبيط عنها والشياطين كما نعلم نوعان يناصر بعضها بعضا ويعاضده ويساعده قال الله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [2] وهذان النوعان كما في الآية السابقة هما:

---

[1] قال ابن عباس: لن يصلح المعروف إلا بتعجيله وستره وتصغيره، فإنك إذا عجّلته هنأته، وإذا سترته أتممته، وإذا صغّرته عظمته، وإذا مطلته نكّدته ونغّصته. [كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٥٧]

[2] سورة الأنعام آية ١١٢

ـ شياطين[١] الجن وهم الذين يهمهم من إطالة الخطبة عدم إتمامها بغية انتشار الفساد والفواحش بين الناس فدأبهم التفريق بين المتزوجين ابتداء : فعَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ قَالَ الْأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ.[٢] فإذا كان الشيطان يفعل هذا مع المتزوجين فما بالك بالذين هم على عتبات الزواج وبدايته.

ـ شياطين الإنس وهدفهم من عدم إتمام هذا الزواج وإكماله الحسد منهم لأن هذه البنت قد ظفرت بزوج ليس في مقامها في ظنهم فاستكثروه عليها، ويأبى هذا الأمر كثيرا وبخاصة من البنات العوانس من قريبات الخاطب اللاتي كانت تطمع الواحدة منهن أن يكون هذا الخاطب من نصيبها هي،[٣] فطالما أهن عوانس لم يظفرن بأزواج ولا خاطبين ولا أمل لهن في القريب العاجل على ما يبدو في الأفق فلماذا تخطب هذه البنت وتتزوج ونترك نحن ، فنحن أقرب رحما منها لهذا الخاطب وأولى منها ببره ومعروفه ولا بر ولا معروف ، أكبر من أن يتزوج واحدة منا ومن ثم فإنهن يهمسن في أذن هذا الخاطب

---

[١] الشيطان: معروف وكل عات متمرد من الجن والأنس والدواب شيطان. قال ابن قتيبة: قال محمد بن إسحاق: إنما سمي شيطانا لأنه شطن عن أمر ربه، والشطون: البعيد النازح، ومنه قيل : نوى شطون وبئر شطون. (غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٦٧)

[٢] صحيح مسلم: كتاب صفة الجنة والنار باب : تحريش الشيطان وبعثه سراياه مسلم بشرح النووي ج٨ص١٣٨

[٣] ويشاركهن في هذا الشعور أخواتهن المتزوجات وأمهاتهن

زاعمات النصح له فهو أخوهن: بأن هذه الفتاة كذا وكذا، وأنه لو تخلى عنها فإن سليمى وسلمى والرباب وغيرهن كثيرات في انتظاره وأنه بإشارة من إصبع قدمه فإن الواحدة منهن توافق عليه كما أنهن لا ينسين أن ينصحن ـــ في زعمهن ـــ هذه الفتاة بأن هذا الخاطب كذا وكذا وأنهن شفوقات بها نصوحات لها فهي غرة صغيرة لا تعرف مكر الرجال وخداعهن فخذي حذرك واقعدي لخطيبك هذا كل مرصد وأنك لو تخليت عنه وصرفت النظر عنه فإنك ستجدين الآلاف من الشباب الذين يتمنونك ودلالة على ذلك فإن زيدا ذكرك قبل أيام وقال عمرو أيضا: لو كانت فلانة غير مخطوبة لتقدمنا لطلب يدها، واقترعنا على الفوز بها، والظفر بالزواج منها ونيل قربها، وهن كاذبات في أقوالهن فتصدق البنت المسكينة هذه الأقوال وتحاول التخلص من خطيبها . وبعد أن يتم لها ما أرادت تنقشع السحب أمامها على سراب بقيعة ويأتي صاحبات الأمس اللاتي نصحنها يأتين موبخات عاذلات لائمات ويصفنها بقلة العقل والحمق وأنها أضاعت فرصة من يديها لا تعوض وأن زيدا وعمرا وصفاها بالعقوق والغدر وعدم الوفاء ولذا صرفا النظر عنها.

٢ ـ التمسك بمبدأ تكوين النفس ومطاطيته:

بعض الشباب لا يفكر في الزواج بحجة أنه يريد أن يتزوج من غير إعانة أحد له من والد أو أخ أو غيرهما من الأهل والأقارب والأصدقاء وهذا الأمر في حد ذاته ـــ الاعتماد على النفس ـــ مما يحمد عليه الشاب ويجب أن تنميه الأسر في كل شبابها لأنه مؤشر لاهتمام الشخص لأنه يجعل الشاب أهلا لتحمل المسئولية وتبعات الزواج من نفقة وتأسيس بيت وخلافه من متطلبات الزواج .

وقد يكون رفض الشاب لقبول إعانة أحد من أهله زعمه أن إعانة والده تؤثر في اختياره لأن بعض الوالدين يرهن مساعدة ابنه بأن يتزوج ابنه فتاة معينة يعينها ويحددها له وإن تجاوزها إلى غيرها وإن كانت أختها فلن يساعده وهذا المبدأ والتصرف من الوالد

لا شك أنه خطأ محض وتصرف غير مسئول كما أنه لا يجب على الابن أن يتزوج من يختارها له والده ولا يعتبر مجاوزتها إلى غيرها عقوقا لوالده ولكنه عليه مداراة والده وملاينته وعدم جبهه برفضه لمن اختارها له وقد يكون الفتى غض العود لدن الجذع قليل الخبرة تخرج لتوه من الجامعة وظفر بوظيفة يراها كثيرا دون مؤهله ودون ما يستحق ولكنه قبل بها لأنه لا يريد أن يجلس عاطلا ومتطلبات الحياة لا يفي بها راتبه البسيط وهذه المتطلبات في زيادة مستمرة وراتبه لا يتجاوز ملبسه ومصاريف عمله من مواصلات ونحوها و كما أن طبيعته المبذرة ويده المبعثرة للفلوس لا تساعد على جمع ما تبقى من فتات راتبه إن كان قد بقي منه شيء .

ومن ثم يزهد هذا الشاب في أن يفي هذا المتبقي من الراتب بشيء من تجهيزات الزواج والاستعداد له وإن أفلح واشترى شيئا فإن أشياءه تتسع ومتطلباته تزداد وأن بيته ــ الذي بناه في خياله ــ والذي لم يحدد أوتاده بعد من زوجة يحتاج إلى كذا وينقصه كذا ولا بد له من كذا وأنه لا يستغني عن كذا وأنه يعوزه كذا وتزداد هذه المتطلبات بتتابع الزمان وتمضي الأيام والأسابيع والشهور وتتعاقب السنون والأعوام ويخط الشيب رأسه وعندما يلتفت إلى نفسه يجدها قد وصلت إلى مرحلة تجاوزت فيها السن المتعارف عليها في الزواج بين الناس فيعود هذا الأمر هاجسا ومثبطا له ومن ثم يزهد في الزواج .

فعلى الشاب ابتداء الاقتصاد في صرف ما يتحصل عليه من فلوس لتساعده في أمور زواجه كما أن عليه ألا يشتط في طلباته وفي مبدأ تكوين نفسه فكل أهل الدنيا يرون أنهم تنقصهم أشياء مهمة جدا لهم ، فأغنى أغنيا الدنيا لو سئل عما ينقصه لحسب ولعدد أشياء كثيرة جدا ، ولوجدنا أنه تنقصه حسب زعمه أشياء أكثر مما تنقص الفقير. كما أن على الشاب أن يقبل مساعدة أبيه فلا حرج في هذا الأمر البتة ولا جرح فيه لكرامته. فَعَنِ ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم كَانَ يُعْطِي عُمَرَ بْنَ الْخَطّاب رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ الْعَطَاءَ. فَيَقُولُ لَهُ عُمَرُ: أَعْطِه، يَا رَسُولَ اللّه أَفْقَرَ إِلَيْه مِنّي. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم: "خُذْهُ فَتَمَوّلْهُ أَوْ تَصَدّقْ به. وَمَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَال وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِف وَلاَ سَائِل، فَخُذْهُ، وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ". قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً. وَلاَ يَرُدّ شَيْئاً أُعْطِيَهُ. [1]

٣ـ عدم الاستعداد لتحمل مسئوليات الزواج وما ينتج منه:

للآباء في عدم تحمل الأبناء للمسئولية واستعدادهم نصيب وافر لأنهم قصرّوا في تعويد أبنائهم على تحمل المسئولية وتبعاتها فالشاب غالبا يكون تحت مسئولية والده منذ ولادته إلى أن تتقدم السن به ويقوم والده بتزويجه بمن يحب والصرف عليه بعد زواجه،[2] وقد يكون الشاب غرا ساذجا بسيطا يظن أن الحياة كلها لعب وضحك فيصرف كل وقته في الهزل ويجعل كل اهتمامه في المزاح فشاب مثل هذا لا يفكر في الزواج وإن عرفه الذين تقدم لهم لخطبة ابنتهم فإنهم لا يعطونها له وإن جهلوا أمره وتزوج فإن زواجه لا يوفق لأنه غير مسئول ولا مبال ولا مكترث بما يحدث له ولا لزوجته ولا يهمه أمر من الأمور والحياة الزوجية ليست كلها عسلا ولا مزاحا فهو قد تعود على الضحك وقد يكون الشاب لا يريد الزواج لأنه لا يريد زوجة يصرف عليها ويتحمل مسئوليتها وذلك لبخل فيه وشح في تركيبته.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف / سنن النسائي، كتاب: الزكاة، باب: من آتاه الله عز وجل مالاً من غير مسألة، حديث رقم: ٢٥٩٦

[2] على الآباء السماح لأبنائهم وإعطائهم قدرا من الحرية تمكنهم من تأهيل أنفسهم وتدربهم على تحمل المسئولية .

وأذكر أنني في صباي أوصاني أحدهم مقترحا علي أن أتزوج من بنات خارج العاصمة. فسألته لماذا؟ فقال: إن بنات القرى سمان، وإن بنات العاصمة ضعاف مهازيل مما قد يكون سببا في موت الواحدة منهن. فتكون قد خسرت مالك.

فهذا الموصي جعل كل اهتمامه في خسارة تكاليف الزواج ولم ينظر إلى ما يتكلم عنه وهو موت الزوجة الذي لم يحرك فيه ساكنا وكأنها موت بقرة أو تلف قطعة أثاث، ولعل هذه الحاجيات والأثاثات عنده أهم.

٤- تكرار الرفض للفتى مما سبب له إحباطا وعزوفا عن الزواج:

قد يتقدم شاب لفتاة من الفتيات، فترفضه هذه الفتاة معللة رفضها أو غير معللة لرفضها، فيصفها بالجهل والغرور وأنها أضاعت فرصة واتتها وذلك بتقدمه لها ثم يتركها ويتقدم لخطبة فتاة ثانية غيرها، فترفضه وتجرح كبرياءه ، فيستغرب ويتعجب من سذاجة فتيات هذا العصر وخفة عقولهن مع هذه العنوسة المخيمة عليهن، ثم يحزم أمتعته ويذهب لفتاة ثالثة خاطبا لها فترفضه كذلك فيتوقف هذا الرجل مع نفسه وقفات ويسألها أسئلة هذه ثالث مرة أرفض فيها فما السبب في ذلك ويظن هذا المسكين أن إجماع هؤلاء الفتيات الثلاثة على رفضه راجع لعلة به، ولنقص كامن فيه، إذ ليس من المعقول أن تكون الفتيات الثلاثة جاهلات ومغرورات وغبيات ومخطئات وأنه المبرأ من كل عيب فهو كأنه خلق كما يشاء، فهذه العلة فيه لا ريب ولا مرية في ذلك فيعزف الشاب عن خطبة فتيات غيرهن ويحجم عن التقدم لسواهن ويرفض النساء ويتقوقع على نفسه.[1]

---

[1] قال سفيان الثوري إذا أردت أن تتزوج فأهد للأم.[المستطرف ج ٢ ص ١٢٢]

ولكن يجب على الفتى أن يتساءل لماذا رفضته هؤلاء الفتيات مع هذا الطوفان العارم من العنوسة وهن اللاتي أقضت العنوسة مضاجعهن وأقلقت راحتهن ومنعتهن النوم بالليل وشغلتهن بالنهار وهن يرين أن زوجا من عود خير من قعود بغيره.

ولنفترض افتراضات جعلت البنات يرفضن هذا الشاب ولا يقبلنه زوجا وفضلن قعودهن في البيت من غير زواج:

ـــ أن يظن الفتى أن بوار سوق البنات والعنوسة الضاربة الأطناب الثابتة الجذور وهذا الكم الهائل من الفتيات الذي ملأ المدارس والأسواق والشوارع والبيوت والمكاتب ودواوين الدولة يجعله يظفر بمن يريد منهن وبمن شاء منهن بإشارة من يده أو غمزة من عينه فيشتط في اختياره ويتعدى طوره وذلك لتقدمه لفتاة يعلم سلفا رفضها له ولأسرته لأسباب مجتمعة فيه وفوارق اجتماعية [١] واقتصادية وتعليمية وفوارق في السن والعمر. واختلاف في اللون والسنحة فقد يكون المتقدم لونه كالغراب سوادا ووجهه كالقرد [٢] قبحا ودمامة[٣] ورأسه كالثغامة بياضا وهو يرغب في بيضاء رعبوبة، بالشحم مكروبة، بالطيب مشبوبة، ـــ كما ذكر ذلك امرؤ القيس ووصف أنها من متع الدنيا ـــ فمن الطبيعي أن ترفضه هذه الفتاة، ولو تقدم لواحدة قريبة منه لقبلته واقترنت به ولكنه رام

---

[١] انظر: قصة يسار الكواعب. [كتاب الأذكياء، لابن الجوزي،ص ٢٢٨]

[٢] قيل: اطَّلَعَ الْقِرْدُ فِي الْكَنِيفِ، فَقَالَ: هَذِهِ الْمِرْآةُ لِهَذَا الْوَجْهِ الظريف. [مجمع الأمثال، للميداني، ج١ ص ٤٢٢ / المستطرف ج ١ ص ٧٠]

[٣] قال المتنبي:

وإذا أشارَ محدثاً فكأنه قردٌ يقهقهُ أو عجوزٌ تلطمُ

مراما بعيدا في مجتمعه. وكما أن المتقدم قد تكون ظروفه الصحية غير ملائمة للفتاة فهو قد يكون ضعيف البنية جدا أو أنه يعاني من مرض يزهد البنات فيه.

ـ أن يكون هؤلاء الفتيات اللاتي تقدم لهن الفتى على درجة كبيرة من الجمال والمكانة المرموقة، وأمثالهن لا تمتد عنوستهن، وهن يطمعن في زوج أفضل منه في كل الصفات، ولذا رفضنه.

ـ أن تكون للفتى شروطا معينة يطلبها في مخطوبته ويكون هو دون هذه الصفات التي اشترطها كثيرا.[1]

فيا أيها الشاب: اعلم أن البنات غير المتزوجات أكثر من الهموم على قلوب الناس بل هن هم من همومهم فهن هم لآبائهن ولإخوانهن ولكل ذي قرابة منهن ولا يعني هذا أن هؤلاء الآباء والأبناء والقرابة سيوافقون على كل من يقرع الباب خاطبا لابنتهم فيضيفون هما جديدا إلى همومهم من ثوران مشاكل وقيام خصومات بين المتقدم لابنتهم وبينها مستقبلا وذلك لفظاظة هذا المتقدم وغلظته وشدته ولا يريدون أن يشمت بهم أهلهم وعشيرتهم وأقرانهم من أصدقاء وجيران ومعارف بإعطائهم ابنتهم لهذا الرويبضة من رويبضات المجتمع والنكرة من نكراته ففكر في أمر تقدمك للزواج جيدا قبل أن تتقدم وقدر لرجلك قبل سيرها حتى لا تزل وتسقط سقطة لا قيام بعدها ولا جبور منها، فعليك أن تكون حصيفا وأن تعرف أن تضع قدمك، قال محمد بن بشير:

---

[1] انظر إصرار الفتى على لون وصنف وصفة معينة من الفتاة التي يرغب في الزواج منها في هذا الكتاب.

قدر لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا[١]

حتى وإن رفضت فلا تكون الصدمة عليك كبيرة فقد يقولون لك: إن البنت اعتذرت بأنها تريد أن تقرأ وتواصل دراستها [٢] أو غيرها من أسباب الرفض المغلفة التي يستعملها المجتمع ويلقنها للفتيات لصرف من لا يحبون بالحسنى ، لأنه لا يعني أن كل من تقدم لامرأة مشابهة له ستقبل به من غير تردد فقد ترفض.

وفي الحقيقة إن المرأة لا تريد زوجا تسب به لأن المجتمع لا يرحم أمثال هذه الحالات ولا يغفلها ولا يراعي دافع هذه الفتاة للموافقة على هذا الزواج ويلتمس لها عذرا بأنها عانس طفح بها مكيال عنوستها فوافقت على هذا الرويبضة من الرجال محتذية قول القائل: زوج من عود خير من قعود، بل يطلق لسانه بما حدث ويزيد عليه من عنده من باطل يأتفكه وكذب يوشيه وفاكهة نساء يستعذب أكلها، ويجادلها بأن العود أفضل من زوجها هذا، والمجتمع يسخر من موافقة المرأة على الزواج من هذا الصنف من الأزواج من جانبين: الجانب الخَلقي والخُلقي على السواء، ومن أمثلة سخرية المجتمع ما ذكره ابن منظور بقوله: رجل مُمْقَرُّ النَّسَا، بتشديد الراء: ناتِئُ العِرْق؛ عن ابن الأعرابي؛ وأنشد:

---

[١] الإدارة في التراث الإسلامي ، ص ٣٧

[٢] ذكر أن شابا كان يتقدم للزواج من فتيات هن في نظر المجتمع لسن من طبقته فيصرفه أهلهن صرفا مهذبا قائلين له: بنتنا تريد أن تقرأ، ـــ أي تواصل دراستها ـــ وفي مرة من المرات رآه رجل وقال له: إني سأزوجك ابنتي. فرحب الشاب بهذا الأمر وأكبره من هذا الرجل إكبارا عظيما. وعندما رأى العروس المرتقبة وجدها في غاية القبح والدمامة وتقدم السن فما كان منه إلا أن قال: أنا أريد أن أقرأ.

نَكَحَتْ أُمامةُ عاجِزاً تَرْعِيَّةً مُتَشَقِّقَ الرِّجْلَيْنِ مُمْقَرَّ النَّسَا[١]

وقال:

تَزَوَّجْتَ مِصْلاخاً رَقُوباً خَضِيرَةً،[٢] فَخُذْها على ذا النَّعْتِ، إن شِئتَ، أَوْ دَعِ[٣]

وكثير من النساء والفتيات تفضل الموت والعنوسة على الاقتران بمن يشينها وتعاب به قال المتنبي:

وإذا لم تجدْ من الناسِ كفؤاً ذاتُ خِدْرٍ تَمَنَّتِ الموتَ بَعْلاً

وكثير من الناس بل جلهم إذا تقدم لامرأة ورفضت ثم بدأ لها فوافقت عليه ورغبت فيه فإن الرفض في هذه المرة يكون منه لهذه المرأة وليس لجنس الزواج فيتزوج غيرها تاركا لها عازفا عنها، وكانت هذه صفة لنبينا صلى الله عليه وسلم، فكان إذا خطب فرد لم يعد. فخطب امرأة فأبت ثم عادت، فقال: قد التحفنا لحافا غيرك[٤]

قال المناوي : (كان إذا خطب) امرأة (فردّ لم يعد) إلى خطبتها ثانيا (فخطب امرأة فأبت ثم عادت) فأجابت (فقال قد التحفنا لحافا) بكسر اللام كل ثوب يتغطى به كنى به عن المرأة لكونها تستر الرجل من جهة الإعفاف وغيره (غيرك) أي تزوّجت امرأة غيرك وهذا من شرف النفس وعلو الهمة.[٥]

---

[١] لسان العرب، مادة: مقر

[٢] الخَضِيرَةُ من النساء: التي لا تكاد تُتِمُّ حَمْلاً حتى تُسْقِطَه.

[٣] لسان العرب، مادة: خضر

[٤] رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا وحسنه السيوطي (انظر: الجامع الصغير، حديث رقم: ٦٦٦٠/ كنز العمال، حديث رقم: ١٨٣٢٦

[٥] فيض القدير، حديث رقم: ٦٦٦٠

٥ـ إعالة الفتى لأسرته:

قد تحترم المنايا الوالد فتأخذه مؤثرة له عن غيره تاركا وراءه زوجة شابة وأولادا وبنات عدة ، أو قد يصاب إصابة تعيقه عن العمل أو تتقدم به السن فيعجز عن العمل، فيتحمل الولد المسئولية غالبا فيترك دراسته إن كان يدرس في مرحلة من المراحل الدراسية سواء أكان في المرحلة الثانوية أو الجامعية ويبحث عن عمل يقوت به أمه وأخواته ويعمل ليل نهار ليوفر لهن لقمة العيش الكريمة ويكف أسرته ويغنيهم عن سؤال الناس ويحفظ ماء وجههم مما تجود به فتات موائدهم من صدقات هي لسقاط الناس وأوساخهم.

ويكون هذا الشاب كله أمل أن تتزوج أخواته ويأتي لهن أزواج صالحون أو كما يقولون : ابن الحلال الذي يسعدهن ، وليس هدف الابن من ذلك أن تذهب أخواته من طريقه ويفتك منهن وأن يتفرغ لنفسه ليتزوج هو ولكن يكون هدفه أن يتزوج الأخوات وأن يساعفهن الحظ فيظفرن بأزواج يكونون سببا لسعادتهن تعويضا لهن عما قاسوه من يتم وفقدان أب في صغرهن .ويكون هذا الأمر بالنسبة له من أعظم السعادة وأمنى الأمنيات التي يرجوها أن تتحقق.

ومما ينبغي التنبيه عليه ووضعه في الأذهان أن وفاة الوالد لا تؤثر على الفتيان في عدم مبادرتهم للزواج أو عزوفهم عنه فقط بل تؤثر كذلك في اختيار الفتى إن أراد أن يتزوج فقد يفكر الفتى في الزواج بامرأة مرغوبا عنها لعلة فيها كتقدم سن [1] أو قلة

---

[1] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَكُنْتُ عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ إِنَّمَا هُوَ فِي آخِرِ الْقَوْمِ فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ هَذَا قُلْتُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مَا لَكَ قُلْتُ إِنِّي عَلَى جَمَلٍ ثَفَالٍ قَالَ أَمَعَكَ قَضِيبٌ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَعْطِنِيهِ فَأَعْطَيْتُهُ فَضَرَبَهُ فَزَجَرَهُ فَكَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ أَوَّلِ الْقَوْمِ قَالَ بِعْنِيهِ فَقُلْتُ بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ بَلْ

جمال ونحوه حفظا لأخواته وصونا لهن فيأتي بزوجة ترعاهن وتحفظهن وتقوم بمصالحهن كما فعل ذلك جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما : فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جَابِرُ أَلَكَ امْرَأَةٌ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَثَيِّبًا نَكَحْتَ أَمْ بِكْرًا قَالَ قُلْتُ لَهُ تَزَوَّجْتُهَا وَهِيَ ثَيِّبٌ قَالَ فَقَالَ لِي فَهَلَّا تَزَوَّجْتَهَا جُوَيْرِيَةً قَالَ قُلْتُ لَهُ قُتِلَ أَبِي مَعَكَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَتَرَكَ جَوَارِيَ فَكَرِهْتُ أَنْ أَضُمَّ إِلَيْهِنَّ جَارِيَةً كَإِحْدَاهُنَّ فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّبًا تَقْصَعُ قَمْلَةَ إِحْدَاهُنَّ وَتَخِيطُ دِرْعَ إِحْدَاهُنَّ إِذَا تَخَرَّقَ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّكَ نِعْمَ مَا رَأَيْتَ.[1]

ومثل هذا الأمر يتم غالبا عند وفاة الأم وإذا كان وضع الأسرة المالي على ما يرام، أما إذا كانت الأم موجودة ووضع الأسرة دون ذلك فإن الولد يجلس عازبا.

٦ـ العطالة:

قد يتخرج شاب حديثا في جامعة من الجامعات ويكون كله أمل أن يجد وظيفة تدر عليه مالا ويسجل اسمه في مكاتب العمل ضمن مجموعات الخريجين المنتظرين للتوظيف ولكن قد يتأخر توظيفه نسبة لعدم وجود ميزانيات أو لتفشي نظام المحسوبية في مجتمعه أو لتصنيفه سياسيا من الدولة التي خالفها في آرائها فرأت عزله وإبعاده سواء

بِعْنِيهِ قَدْ أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ أَخَذْتُ أَرْتَحِلُ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً قَدْ خَلَا مِنْهَا قَالَ فَهَلَّا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ قُلْتُ إِنَّ أَبِي تُوُفِّيَ وَتَرَكَ بَنَاتٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْكِحَ امْرَأَةً قَدْ جَرَّبَتْ خَلَا مِنْهَا قَالَ فَذَلِكَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ قَالَ يَا بِلَالُ اقْضِهِ وَزِدْهُ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ وَزَادَهُ قِيرَاطًا قَالَ جَابِرٌ لَا تُفَارِقُنِي زِيَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَكُنْ الْقِيرَاطُ يُفَارِقُ جِرَابَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.[صحيح البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجل رجلا أن يعطي شيئا ولم يبين، حديث رقم : ٢١٤٣]

[1] مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله ، حديث رقم : ١٤٣٣٢

أكانت محقة في ذلك أو ظالمة له وكان هذا الشاب يدور في خلده وفكره أنه سيتم تعيينه بمجرد استلامه شهادته فيبدأ هذا الشاب في العمل بأعمال هامشية أو يمارس عملا في غير مجال تخصصه ودراسته ويكون لعمله الجديد كارها لأنه لم يأته عن رغبة وإنما أجبر عليه وأكرهته ظروفه عليه إكراها ، وأرغمته عليه الحوجة إرغاما ، وقبل به لأنه لم يجد غيره ولأنه لا يريد أن يجلس في البيت مع أمه وأخواته ، ولا يريد أن يمد يده لأحد. بل يريد أن يساعد أسرته التي شقيت من أجله وتعبت حتى علمته ونال الشهادة التي كان يأملها.

وقد يكون الشاب غير معايش لواقعه وغير راض به فيقدم اسمه في مكاتب التوظيف وينتظر في عداد المنتظرين ولا يزاول أي عمل ولا يمتهن أي مهنة فيجلس في البيت فيكون كل وقته راقدا في سرير حتى إذا تعب منه وملّه ذهب إلى سرير آخر عائدا إلى الأول ريثما ارتاح من تعب نومه الدائم متنقلا من غرفة إلى غرفة ومن سرير لأخر وهكذا دواليك، وإذا قيل له : دع البطالة ومارس أي عمل. يكون رد هذا الشاب: إنني قدمت اسمي وأنا منتظر مع المنتظرين ووعدت خيرا في القريب العاجل وإذا قيل له: لماذا لا تمارس أي عمل وتمتهن أي مهنة حتى يأتي تعينك ثم بعد ذلك تفاضل بين الوظيفة التي وفرها لك مكتب العمل ــ في القريب العاجل الذي قد يطول ــ وعملك الحالي وتستمر في الأحسن والأفضل لك فيرفض هذا الشاب ويقول : أنا لم أدرس كل هذه السنين ولم أصبر على سهر الليالي للقراءة والاستعداد للامتحانات وشقيت كل هذا الشقاء لأعمل في وظيفة زبال ولا وظيفة كناس ، ويعدد أدنى الوظائف وأحطها في نظر المجتمع ويكون ما ذكر منها لم يخطر ببال أحد من الذين عرضوا عليه أمر مزاولته العمل وعدم جلوسه عاطلا ويواصل هذا الشاب قائلا : كان بإمكاني أن أعمل هذا العمل الذي تقوله وأمتهن هذه المهنة التي ذكرتها قبل عشر سنوات ولا أضيع الزمن والوقت الذي أضعته ولا أنفق المال الذي أنفقته في دراستي.

ولا ينسى هذا الشاب أن يقول : انظر إلى أمثالي الذين تخرجوا قبل عدة سنوات وقدموا أسماءهم ولم يتم تعيين واحد منهم إلى الآن ويعدد من يعرف من أمثاله من أصحابه الكسالى والخاملين ويترك الذين قدموا أوراقهم ولكنهم مارسوا مهنا أخرى خوفا من العطالة والبطالة.

ويستمر الشاب في عطالته وبطالته ويستمر هذا القريب العاجل الذي وعد به سنوات عديدة وأزمانا مديدة ومن ثم فلا يفكر هذا الشاب في الزواج وإذا تجرأ وفكر في الزواج فإن والداه يقولان له : يكفي أننا نقوم بسد رمقك وإطعامك وكسوتك وعلاجك وتوفير المسكن لك، فلسنا مستعدين لنكفل شخصا آخر معك ولأبويه وجاهة في رد طلبه ورفض رغبته لأن شخصا مثل هذا غالبا يكون غير مسئول لم يستطع كفالة نفسه فكيف يكفل غيره؟

٧ـ الانشغال بالسفر:

يسافر الناس لأسباب كثيرة وعلل عدة ، فبعضهم يسافر لاكتساب المعيشة ولتحسين الأوضاع الاقتصادية وآخرون يسافرون للسياحة والنزهة والفرجة، وصنف ثالث يسافر للتطبيب والعلاج، وصنف رابع يدمن السفر ويعشقه ويكون شغله الشاغل والهاجس الذي لا يفارقه ليلا ولا نهارا فما يرجع من سفرٍ إلا ويحزم أمتعته لسفر آخر، قال محمد بن زريق البغدادي في إدمانه السفر وعشقه له وتعلقه به :

ما آب من سفر و إلا وأزعجه ... رأي إلى سفر بالعزم يجمعه

كأنما هو من حل ومرتحل ... موكل بفضاء الأرض يذرعه

إذا الزمان أراه في الرحيل غنى ... ولو إلى السند أضحى وهو يُزمعه

تأبى المطامع إلا أن تجشمه ... للرزق كدا وكم ممن يودعه[١]

وقد يسافر المرء دون النظر في عواقب السفر وجدواه وفي سفره هذا يستنكف أن يتزوج من غير بلده ويمني نفسه برجوعه إلى بلده واختياره إحدى فتيات بلده المعروفة نسبا ومكانة فيقترن بها أو قد يجد في السفر بغيته فيشبع رغبته من شقراوات بني الأصفر ومفلفلات بنات حام ويمتع نفسه من الغانيات. ويشجعه على هذا الأمر وجود الفواحش وكثرتها في هذه البلاد وغياب الرقيب وضعف الإيمان وجراءة نساء البلاد التي يؤمها هؤلاء المسافرون غالبا وكان بعض السابقين يسافرون ويتزوجون وينتقون من يريدون ويدققون الاختيار ويظفرون بما يريدون من نساء صغيرات غرروا بأهليهن ودلسوا عليهم ومن أمثال العرب التي يصفون بها هذا النوع من الأزواج قولهم : أكذب من الشيخ الغريب [٢] لأنه يتزوج في غربته وهو ابن سبعين فيزعم أنه ابن أربعين.[٣]

ـ ملاحظة وتنبيه :

في الحقيقة أن بعض أسباب العنوسة التي ذكرناها كالتبتل والعشق والفساد الخلقي ـــ هذا إذا اعتبرنا أن العنوسة تشمل الرجال والنساء ـــ ليست من الأسباب المباشرة للعنوسة لأن أصحابها رفضوا الزواج ورغبوا عنه بأنفسهم أما العانس فهي من ترغب في الزواج ولم تظفر بزوج.إما إذا اقتصرنا بمفهوم العنوسة على النساء فقط فتبتل

---

[١] جواهر الأدب للهاشمي ج ٢ ص ٦٠١ ـــ ٦٠٣

[٢] عن أَبي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن الحارث بن هشام أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّها لَمَّا قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ أَخْبَرَتْهُمْ أَنَّهَا ابْنَةُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَكَذَّبُوهَا وَيَقُولُونَ مَا أَكْذَبَ الْغَرَائِبَ حَتَّى أَنْشَأَ نَاسٌ مِنْهُمْ إِلَى الْحَجِّ فَقَالُوا مَا تَكْتُبِينَ إِلَى أَهْلِكِ فَكَتَبَتْ مَعَهُمْ فَرَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُصَدِّقُونَهَا فَازْدَادَتْ عَلَيْهِمْ كَرَامَةً. [مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٥٤٠٣]

[٣] انظر : مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٤٩

الرجال وعشقهم وفسادهم الخلقي وكل الأسباب التي ترينا أن الشخص ترك الـزواج بمحض اختياره لأسباب خاصة به لا يدخل في أسباب العنوسة المباشرة وذلك لسببين هما:

ـ تعلق العنوسة بالنساء فقط وعدم دخول الرجال فيها لإمكان الرجل إزالـة عنوسته إذا رغب أما المرأة فلا.

ـ رأينا أن تعريف العانس أنها من ترغب في الزواج من النساء ولم تجده، وأمـا المتبتل والعاشق والداعر فانصرف عن الزواج بمحض اختياره وإرادته وطوعه ورغبته.

openkandl.com